

المتجر الرابع بالعمل الصالح

(الجزء الثاني من سلسلة الخطب)

لأبي عبد الرحمن

عبد الرقيب بن علي بن أحمد أبو عبد الرحمن الكوكباني

كان الله له في الدارين

بمسجد أم القرى صنعاء

حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

معاشر المسلمين، نحن في زمن عصفت فيه رياح الفتن فما أحوجنا -والله- إلى العودة إلى الله وإلى العودة إلى الصالحات من الأعمال، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرشد إلى هذا لا سيما عند هبوب رياح الفتن الشاملة العامة. ولذلك روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٤).

^(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

^(٢) سورة النساء: (١).

^(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

^(٤) أخرجه مسلم (١١٨).

وأرشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإقبال على العبادة في زمن الهرج، والهرج هو القتل وسفك الدماء. روى مسلم في صحيحه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «العبادة في الهرج كهجرة إلي»^(٥).

إليه أي: إلى المدينة قبل أن تفتح مكة. وهذه الهجرة أعظم أنواع الهجرة على مر التاريخ. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا هجرة بعد الفتح»^(٦).

قال بعض أهل علم: أي: أتم وأكمل وأعظم ثواباً.

كونوا من أبناء الآخرة. معاشر المؤمنين، روى البخاري في صحيحه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه أنه قال: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل^(٧). انتهى.

^(٥) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

^(٦) أخرجه البخاري (٢٧٨٣) ومسلم (١٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه البخاري (٣٨٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه البخاري (٣٩٠٠) ومسلم (١٨٦٤) عن عائشة رضي الله عنها.

وأخرجه البخاري (٣٠٧٨) عن مجالد بن مسعود رضي الله عنه.

^(٧) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق/ باب: الأمل وطوله/ ٨/ ص ٨٩)، معلقاً.

والأثر أخرجه المعافى بن عمران الموصلي في "الزهد" (برقم ٢٢٠) فقال: حدثنا سفيان، عن زبيد الإيامي، عن مهاجر العامري، عن علي بن أبي طالب به.

سفيان، هو بن سعيد الثوري أمير المؤمنين في الحديث، مشهور.

زبيد الإيامي هو زبيد بن الحارث الكوفي الأيامي، قال فيه ابن معين وأبو حاتم والنسائي ثقة. ("تهذيب التهذيب" / ٣/ ص ٣١١).

مهاجر العامري، هو المهاجر بن يزيد أبو عبد الله العامري مولا هم. راوي عن عمر بن عبد العزيز، قليل الحديث. ("تاريخ دمشق" / لابن عساكر / ٦١/ ص ٢٧١).

وإن من يحسن نفسه بالأعمال الصالحة في أيام الرخاء واليسر والسعة والسهولة فإن الله عز وجل ينعم عليه بالتوفيق العافية في أيام الشدة ويصرف عنه البلاء، وإن جاء البلاء هوّن عنه البلاء. نعم. قال الله عز وجل في كتابه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٨).

لم أجد أحداً يوثقه، ولم أقف على أحد أثبت سماعه لعلي رضي الله عنه.

قال ابن حجر رحمه الله: ومهاجر المذكور هو العامري المبهم قبله وما عرفت حاله. ("فتح الباري" / ١١ / ٢٣٦).

والأثر أخرجه أيضاً الإمام أحمد في فضائل الصحابة برقم (٨٨١)، وأبو داود في الزهد برقم (١٠٦) عن المهاجر العامري.

فهذا السند ضعيف، لجهالة المهاجر العامري.

ووجدت بتوفيق الله طريقاً آخر عند البيهقي في "شعب الإيمان" (١٠١٣٠) فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله علي بن عبد الله العطار ببغداد، ثنا علي بن حرب الموصلي سنة ستين ومائتين بالموصل، ثنا وكيع، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة فقال به.

أبو عبد الله الحافظ، هو الحاكم النيسابوري الحافظ المشهور.

أبو عبد الله علي بن عبد الله العطار هو علي بن عبد الله بن سليمان بن مطر أبو عبد الله العطار صاحب الحكيم، لم أجد من ترجم له سوى الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (٤٤٦ / ١٣)، ولم أجد له توثيقاً.

علي بن حرب الموصلي ثقة معروف.

وكيع، أمير المؤمنين في الحديث، مشهور.

سفيان، هو الثوري.

عطاء بن السائب، صدوق معروف، اختلط بآخره. ولكن رواية الثوري عنه قديمة. قال الحافظ ابن الصلاح: عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره فاحتج أهل العلم برواية الأكابر عنه مثل سفيان الثوري وشعبة لأن سماعهم منه كان في الصحة وتركوا الاحتجاج برواية من سمع منه آخر. (راجع "الكواكب النيرات" / ص ٣٢٣).

أبو عبد الرحمن السلمي هو عبد الله بن حبيب، ثقة إمام مشهور.

والأثر بالسندين حسن لغيره، والحمد لله رب العالمين.

^(٨) سورة فصلت: (٤٦)، وسورة الجاثية: (١٥).

أي: عليه شؤم المعصية والإساءة لا سيما في أيام الشدة. ومن عمل صالحا ينفع نفسه إذا فعل ذلك في أيام الرخاء ينفعه الله في أيام الشدة. «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(٩).

وفي رواية: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١٠).

معاشر المؤمنين: العمل الصالح، لولاه ما خلقت أنا ولا أنت ولا الدنيا والآخرة ولا الجنة ولا النار، ولا الجبال ولا الأنهار ولا كل شيء مما خلقه الله. لولا العمل الصالح ما وُجدنا على البسيطة. ولذلك أحسنوا أيها المؤمنون، قوموا بما أمركم الله به من العمل الصالح وتجنبوا مساوئ الأعمال فإن اليوم عمل ولا حساب وغد حساب ولا عمل.

يقول الله تعالى مبيناً أن الدنيا ما وُجدت إلا من أجل العمل الصالح: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(١١).

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١٢)

^(٩) رواه الحاكم في المستدرک (٦٣٠٣ و ٦٣٠٤) والطبرانی في الكبير (١١٥٦٠) والفريابي في القدر (١٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو حديث حسن لغيره.

^(١٠) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة/باب ٥٩-٥٩/٢٥١٦)/ مكتبة المعارف. قال الإمام الوادعي رحمه الله: صحيح لغيره/ "الصحيح المسند" رقم (٦٨٥)/ دار الآثار.

^(١١) سورة الذاريات: (٥٦-٥٨).

^(١٢) سورة الملك: (١-٢).

خلقنا الله ليعلم أننا أقوم في هذا العمل الصالح وأمضى لأمر الله في نفسه وبنيه ومن يلي أمره. نعم أيها المؤمنون. هذه الدنيا ما وجدت إلا للعمل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا^(١٣).

هذه الدنيا أيها المؤمنون. عندما خلقنا الله في العمل الصالح فهو بالتالي مطلع على أعمالنا لا تخفى عليه من أمورنا خافية. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(١٤). ﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١٥).

الله يعلم استقامة العبد ويعلم طغيانه، الله بما تعملون بصير. ﴿يَوْمَ نَحْذِ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١٦).

إن الله عز وجل قد اطلع على دسائس بني إسرائيل وعلى قبائحهم وعلى معائبهم ولم يخف عليه من ذلك خاف وسطره في كتابه العزيز وقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١٧).

ليس الله بغافل عن قبائح بني إسرائيل ولا عن غيرهم لأنه خلقهم للعمل الصالح فذهبوا إلى ضد ذلك. والله عز وجل في المقابل يعلم ويطلع على عملك الصالح يا من أردت عملاً صالحاً، يا من أردت إحساناً إلى الخلق، يا من أردت خوفاً من الله في أمرٍ له أن تؤديه كما أمر الله، الله أعلم بك في غبراء الناس

^(١٣) سورة الكهف: (٧-٨).

^(١٤) سورة البقرة: (٢٢٠).

^(١٥) سورة هود: (١١٢).

^(١٦) سورة آل عمران: (٣٠).

^(١٧) سورة البقرة: (٧٤).

ويُشِيك من بين غبراء الناس. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٨).

أنت في آلاف الناس تصلي تسجد وتعبد وتدعو الله وتذكر الله من بين ملايين الناس ، والله مطلع عليك من بين هؤلاء. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٩).

سواء كان عمل الإنسان في باب التقوى لله، الله مطلع عليك. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢٠).

الله مطلع على أعمالكم إن كنتم في باب التقوى، وسواء كان أيضا في باب الإيمان بالله الله مطلع عليك. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢١).

يعلم الله إيمانك إن كنت مؤمناً. وسواء كان هذا في مجالس الذكر وحلق العلم ومجالس الوعظ والتعليم والتدريس، الله مطلع عليك يكتب ثواب عملك. إن حضرت مثل هذه المجالس ابتغاء الأجل من الله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرَفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢٢).

وسواء كان هذا في باب الصلاة أو الزكاة أو الصدقات أو الإنفاق في شتى وجوه الخير الله يعلم بك وبإنفاقك وبصلاتك. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾^(٢٣).

^(١٨) سورة الشعراء: (٢١٨-٢٢٠).

^(١٩) سورة الشعراء: (٢١٨-٢٢٠).

^(٢٠) سورة الحشر: (١٨).

^(٢١) سورة التغابن: (٨).

^(٢٢) سورة المجادلة: (١١).

^(٢٣) سورة المزمل: (٢٠).

حتى في باب الإصلاح بين اثنين أو الخصمين أو الأخوين أو الأختين أو الزوجين إن الله مطلع على ذلك المصلح بين الزوجين. ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٢٤).

الخلاصة: أن كل ما يقوم به العبد في الدنيا قبل غرغرة وقبل خروج الروح من بين جنبه كل ما يقوم به م العمل الصالح ابتغاء مرضاة الله هو له محسوب مكتوب وهو مثاب عليه. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢٥).

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢٦).

الله مطلع على إفساد الفساد وعلى صلاح المصلح بين الناس وعلى خشية من يخشى الله. نعم. معاصر المؤمنين، لعلني أستعرض في هذا المقام شيئاً من محاسن وفضائل الأعمال الصالحة لا سيما عند هبوب رياح الفتن لتعلموا -بارك الله فيكم- أن الإنسان يندم يوم القيامة على ساعة أمضاها في غير طاعة. الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، والنفس طماعة فعلمها القناعة. والله ليبكى الإنسان دماً على ما فرط في الدنيا إن لقي الله بلا زاد وإن لقي الله بلا عمل. العمل الصالح متجر رابح في الثواب والحسنات والأجور. اينا لا يجب أن يثيبه الله وأن يلقى حسناته في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢٧).

^(٢٤) سورة النساء: (١٢٨).

^(٢٥) سورة الزلزلة: (٧-٨).

^(٢٦) سورة التوبة: (١٠٥).

^(٢٧) سورة البقرة: (٢٧٧).

نعم. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٢٨).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَا كَثُرِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (٢٩).

العمل الصالح يا عبد الله دعك من التكلف على المطامع . العمل الصالح يا أيها المؤمن من كفارات الذنوب والسيئات والخطايا. قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٣٠).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٣١).

كفارة للذنوب. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (٣٢).

وروى الترمذي من حديث أبي ذر ومعاذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» (٣٣).

(٢٨) سورة الإسراء: (٩).

(٢٩) سورة الكهف: (١-٣).

(٣٠) سورة طه: (٨٢).

(٣١) سورة الفرقان: (٦٨-٧١).

(٣٢) سورة هود: (١١٤).

(٣٣) أخرجه سنن الترمذي (١٩٨٧)، وأخرجه أيضا الإمام أحمد (٢١٣٥٤)، وهو حسن بشواهده.

العمل الصالح يا معشر المؤمنين من كواشف الكربات عند أن تظلم الدنيا على العبد وتضييق الأرض بما رحبت يتوصل إلى الله بأعماله الصالحة يجعل الله له نجاة في الضيق والكربة. انظر وفتش في نفسك هل عملت أعمالاً صالحة احتسبتها عند الله ام يطلع عليها أحد؟ خلصت مؤمناً من معزق؟ هل تعاونت مع محتاج واحتسبت هذا لله؟ هل كشفت كربة مكروب وجعلت هذا لله؟ هذا رصيد ينفعك الله به في أيام شدة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغقب قبلهما أهلاً، ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغقب قبلهما أهلاً أو مالا، فلبثت والقدرح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج»، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها»، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً، فأعطيتهم أجراً غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»^(٣٤).

^(٣٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٢) ومسلم (١٠٠).

والغار حفرة غائرة في الجبل فإذا كانت الصخرة من فوق: أيس من الحياة لأن أشداء الرجال لا يستطيعون إزالتها من الغار.

ففتش في نفسك يا عبد الله. كي لك أعمالاً صالحة ، انظر ما رصيدك من الإخلاص لله في العمل والإحسان ومكارم الأخلاق فإنه ينجي عند الكربة.

وفعلاً توسل أحدهم ببرّ والديه، كان مخلصاً، وتوسل بعضهم بعفته عن الزنا وقد قدر عليه وعلى أسبابه وأعفه الله. وتوسله أحدهم بالوفاء لذوي الأعمال والأجراء أدى إليهم أجورهم فجعل الله لهم كلهم فرجاً من كربتهم فخرجوا يمشون بعد ما أيسوا من الحياة.

العمل الصالح يا معشر المؤمنين رفعة في عيون أهل الإيمان رفعة للعامل يرفعه الله وإن أبى حساده، يرفعه الله في عيون الناس وفي عيون أهل الصلاح والإيمان.

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي عَامَ حِجَّةِ الْوُدَّاعِ مِنْ وَجَعِ اشْتِدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرْتْنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثَلْثِي مَالِي؟ قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لَا» ثُمَّ قَالَ: «الثَّلْثُ وَالثَّلْثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تَنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي أَمْرَاتِكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْلَفَ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا أَزْدَدَتْ بِهِ دَرَجَةً وَرَفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخْلَفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ»^(٣٥).

الحديث أخرجه في الصحيحين، ولفظه لفظ البخاري.

نعم. وقال الحسن البصري^(٣٦): من قال قولاً حسناً وعمل عملاً صالحاً فإن الله يرفعه بذلك العمل، وذلك لأن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣٧).

^(٣٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز/ رثى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن خولة/ (١٢٩٥)/ دار الكتب العلمية)، ومسلم (كتاب الوصية/ باب الوصية بالثلث/ (١٦٢٨)/ دار ابن جزم).

^(٣٦) كلام الحسن البصري رحمه الله أخرجه أخرجه البيهقي فقال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا داود بن الحسين، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أبو بشر الحلبي، عن الحسن قال: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب،

فإذا رفع الله العمل الصالح رفع الله بالتالي ذلك العامل. اعمل لله صالحا. العمل الصالح يا عبد الله سبب لنيل الخيرية على كثير من عباد الله. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٣٨).

العمل الصالح سعادة في القلب وسعادة في الفؤاد وقرار في العين. اطمئننا ولو كان صاحب العمل فقيراً، ولو كان مريضاً في بدنه لكنه صاحب الأعمال الصالحة يكون سعيداً مطمئناً. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٩).

وصدقته الأعمال، من قال حسنا وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل، ذلك بأن الله تعالى قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. ("شعب الإيمان" / ١ / ص ١٥٨).

أحمد بن محمد بن الحسين، هو أبو حامد الفقيه، لم أجد من يوثقه.

داود بن الحسين، هو داود بن الحسين بن عقيل البيهقي، إمام ثقة.

حميد بن زنجويه، هو الحافظ الكبير حميد بن مخلد.

عبيد الله بن موسى، ثقة.

أبو بشر الحلبي، هو شبيب بن بشر ويقال ابن عبد الله. قال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم لين الحديث حديثه حديث الشيوخ وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ كثيراً. ("تهذيب التهذيب" / ٤ / ص ٣٠٦).

والأثر بهذا السند ضعيف.

ويقويه ما جاء من وجه آخر:

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: قال الحسن وقاتدة: لا يقبل الله قولاً إلا بعمل. من قال وأحسن العمل قبل الله منه. ("جامع البيان" / ٢٠ / ص ٤٤٥).

بشر هو ابن معاذ العقدي، صدوق. ويزيد هو ابن زريع، ثقة، وسعيد هو ابن أبي عروبة أثبت الناس في قتادة، وروايته عنه في التفسير ثابتة أيضاً، إما لإمكان سماعه عنه، وإما لثقة الوسطة بينهما كما قاله بعض الحفاظ.

فالأثر بالطريقين جيد.

(٣٧) سورة فاطر: (١٠).

(٣٨) سورة البينة: (٧).

العمل الصالح يا أيها المؤمنون نعم الزاد والذخيرة في الدار الدنيا و الدار الآخرة. قال يحيى بن معين رحمه الله: وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً كصالح الأعمال^(٤٠).

نعم الزاد والذخيرة. أما في الدنيا فقد علمتم، وأما في الآخرة فجنات النعيم. فأكرم به من عطاء من الله الكريم بالجود والكرم والإنعام. ما أعمالك؟ وما صالحاتك بجانب عطاء الله في الدار الآخرة. والله إن أعمالك لا تفي بنعمة البصر ولا بنعمة السمع ولا بنعمة الكلام ولا بنعمة شمّ النسيم والهواء في الدنيا. فكيف والله يكرمك بجنة النعيم إن لقيت الله بعمل صالح يشرف ويبيض الوجه. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤١).

^(٣٩) سورة النحل: (٧).

^(٤٠) سورة أخرجه الخطيب في "اقتضاء العلم العمل" برقم (١٦٨) فقال: أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، أنبأ محمد بن العباس، أنا أحمد بن سعيد السوسي، ثنا عباس بن محمد، قال: قال يحيى بن معين، هذا البيت: «وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرا يكون كصالح الأعمال». قال يحيى: هذا للأخطل.

أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، هو المعروف بابن زوج الحرة، وكان ثقة. ("تاريخ بغداد" / ١١٣٢).

محمد بن العباس، محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ أبو عمر الخزاز المعروف بابن حيويه،

وكان ثقة. ("تاريخ بغداد" / ٤ / ص ٢٠٥).

أحمد بن سعيد السوسي، هو أحمد بن سعيد بن علي بن مرابا أبو بكر الخزاز سوسي الأصل. ("تاريخ بغداد" / ٥ / ص ٢٨١). ولم أجد له توثيقاً، فهو يعتبر مجهول الحال.

عباس بن محمد هو الدوري الثقة المشهور.

فالأثر إلى يحيى بن معين بهذا السند ضعيف.

ولكن الله وفقني إلى السند العلي حيث قال محمد بن عباس الدوري في كتابه مباشرة "تاريخ ابن معين" (٤ / ٢٤٨): قال يحيى هذا البيت: وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال. قال يحيى: هذا للأخطل. انتهى.

^(٤١) سورة البقرة: (٢٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾^(٤٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعَوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤٤).

أكرم بهذا الوفد الذي لقي الله أبيض الوجه نير البصيرة لأنه أخذ زاده معه من الدنيا. نعم، بعد هذا كله يقول العاقل اللبيب المنصف من الناس: لا يستوي العمل الصالح والعمل السيء، ولا يستوي أهل العمل الصالح وأهل العمل السيء. لا يستويان، لأن هذه مناقب أهل العمل الصالح.

قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٤٥).

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٤٦).

لا يكون والله، لا يكون هذا في عدل الله الحكم العدل. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٤٧).

^(٤٢) سورة الكهف: (١٠٧-١٠٨).

^(٤٣) سورة هود: (٢٣).

^(٤٤) سورة يونس: (٩-١٠).

^(٤٥) سورة غافر: (٤٤).

^(٤٦) سورة ص: (٢٨).

^(٤٧) سورة الجاثية: (٢١).

تأمل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤٨).

أرأيت أن الله له ميزان عدل في يوم القيامة، ميزان قسط؟ لا يظلم ربك أحدا. لا يستوي هذا وهذا. تكن من أبناء الآخرة يا عبد الله. الدنيا خلقت لتعبرها لا لتعمرها. خلقت لتأخذ الزاد منها. فكن فطنا.

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا (٤٩)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا، أما بعد:

معاشر المؤمنين، اعلموا ببارك الله فيكم: أن من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه. رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الناس نسبا قال: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (٥٠).

(٤٨) سورة طه: (٧٤-٧٦).

(٤٩) أنشده الإمام أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد (ت: ٥٢٠ هـ) كما في "وفيات الأعيان" (٤/ ص ٢٦٢/ لابن بشكوال رحمه الله).

(٥٠) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء/ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن/ (٢٦٩٩)/ دار ابن الجوزي). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هكذا والله الميزان عند الله في الدنيا. وكما في مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(٥١).

الله ينظر إلى القلب والعمل، فصدق سريرتك بعمل جوارحك. إن كنت صادقا فإن هذا الذي ينفعك في الدنيا والذي ينفعك في عرصات القيامة. جاء في مسلم عن المقداد بن الأسود، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل. فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماء» قال: وأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده إلى فيه^(٥٢).

انظر، على قدر العمل. ينفعك الله بالعمل. فأكثر من العمل، وهو والله ميسور. لعمل ميسور يا عباد الله، نحن في أمة مرحومة أمة محمد عليه الصلاة والسلام قليلة أعمالها عظيمة أجورها.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مثل المسلمين، واليهود، والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل، على أجر معلوم، فعملوا له إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملا، فأبوا، وتركوا، واستأجر أجيرين بعدهم، فقال لهما: أكملوا بقية يومكما هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال لهما: أكملوا بقية عملكم ما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم، ومثل ما قبلوا من هذا النور»^(٥٣).

^(٥١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٥٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

^(٥٣) أخرجه البخاري (٢٢٧١).

تأمل هذا المثل العجيب.

من هم السابقون في الزمان من بين هذه الثلاثة أصناف؟ اليهود أو النصارى أو المسلمون؟ لا شك ولا ربي أنهم اليهود. عملوا إلى نصف النهار، وهذا وقت تكون الشمس فيه حارة، متعبة، والعمل فيه متعب.

واستأجر غيرهم فأكملوا بقية يومهم وأخذوا أجر الجميع. الله أكبر. نشغل نحن في هذه الأمة كما يشتغل العامل من بعد العصر وقد انكسرت حرارة الشمس وما بقي من النهار إلى اليسير وهناك توزع أجور العمال، فأخذ أجر العمال كلهم. وهكذا أنت في أمة مرحومة يكتب الله لك ثواب الهمة على العمل الصالح وإن لم تعمله. أكرم به من جود من رب العالمين.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»^(٥٤).

اجعل نيتك صادقة مع ربك. كن ناويا للخير وإن لم تعمله. فإن الله يثيبك على ذلك. لا تحتقر من الأعمال الصالحات شيئاً، وإن صغر في عينك، كالساحة في البيع والشراء إن كانت تاجراً، وكالرحمة بالمسلمين إن كنت طبيباً والتخفيف عليهم من الأجور والمعاناة، وكأي عمل تقوم به أحسن إلى الناس فإن هذا يعد عملاً صالحاً لك.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فأمر فتاني أن ينظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر، قال: قال الله عز وجل: تجوزوا عنه»^(٥٥).

^(٥٤) أخرجه البخاري (٦٩٤١) ومسلم (١٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

^(٥٥) أخرجه البخاري (٢٠٧٧) ومسلم (١٥٦٠).

عمل صالح. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بينما رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»^(٥٦).

والله إن هذا لعمل صالح تتقرب به إلى ربك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بينما كلب يطيف بركة، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به»^(٥٧).

لو زرعت زرعاً يا أيها الزارع في الريف، ولو غرست غرساً أيها الغارس في الحضر أو الريف فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو أي خلق من خلق الله لكان هذا عملاً صالحاً تتقرب به إلى ربك.

في "الصحيحين" عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»^(٥٨).

الغرس للأشجار، والزرع للزروع التي تحصد من عروقتها.

لا تحتقر من العمل الصالح حتى لطافة الكلام وبشاشة الوجه، فإن تبسمك في وجه أخيك صدقة^(٥٩)، وإن لطف الكلام والكلمة الطيبة صدقة^(٦٠)، كل هذا من الأعمال الصالحة، لتعلم أن الأعمال

^(٥٦) أخرجه البخاري (٢٣٦٣) ومسلم (٢٢٤٤). وتام الحديث: ، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر».

^(٥٧) أخرجه البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥).

^(٥٨) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٥٥٣).

^(٥٩) في هذا الباب حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق». (أخرجه مسلم (٢٦٢٦)).

الصالحة ميسورة ولكن عليك بالداعم من العمل، وإيّاك والفتور والخور بعد الكور والتقهر بعد التقدم، فإن هذا ربما محق الأعمال. يا عبد الله امض إلى الأمام وأنت مصطحب عملاً صالحاً معك. أحسن إلى الخلق، وأحسن فيما بينك وبين الله، وأحسن إلى الحيوان، وأحسن إلى من تستطيع الإحسان إليه، كل هذا تثاب عليه، فإن أحسن العمل عند الله وعند رسوله ما كان فيه دوام واستمرار.

جاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فوالله لا يملّ الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»^(٦١).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سدّدوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»^(٦٢).

وإن قلّ لكنه دائم يستمرّ عليه.

وفي عامنا وستتنا تأتي عندنا مواسيم للخير فزدداد من العمل الصالح، والتقرب إلى الله، ومن الاجتهاد في القربات، لماذا؟ لأنها مواسيم بمنزلة مواسيم التجار ينتهزونها للتجارة في المال وأنت تنتهزها للتجارة مع الله. أتعلم ما يسأني عليك بعد الأسبوع يا أيها المؤمن؟ تأتي عليك العشر الأول من ذي الحجة. ما أعظمها من أيام، وما أكرمها عند الله من أيام. العشر الأول من ذي الحجة.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه -يعني: العشر الأول من ذي الحجة-» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»^(٦٣).

^(٦٠) في هذا الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «كل سلامى عليه صدقة، كل يوم، يعين الرجل في دابته، يحمله عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ودل الطريق صدقة». (أخرجه البخاري (٢٨٩١) ومسلم (١٠٠٩)).

^(٦١) أخرجه البخاري (٤٣) ومسلم (٧٨٥).

^(٦٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٧٨٣).

أرأيت؟ عليك بالعمل وتزود في تلك الأيام من العمل. اطلب القرآن العزيز الذي ربما قد صار غباره ركاماً على صفحاته من بعد رمضان إلى يومك هذا. حاول أن تأخذ هذا المصحف من رفوفه، وانفذ عنه الغبار وهيء نفسك للاجتهاد في العمل لعل الله أن يكتب لك عملاً صالحاً أو يقبضك عليه.

عن عمرو بن الحمق رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد الله بعبد خيراً عسله» قالوا: يا رسول الله، وما عسله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح، ثم يقبضه عليه»^(٦٤).

جعله الله معسولاً ويلقى الله مرضياً عنه.

نعم أيها المؤمن، إنك إذا تعلمت علماً من أية أو حديث، فما ثمرة هذا العلم إلا أن تعمل عملاً صالحاً؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: اعملوا يا حملة العلم فإن العالم من عمل بما علم^(٦٥).

وقال رضي الله عنه وأرضاه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل^(٦٦).

^(٦٣) أخرجه البخاري (٩٦٩).

^(٦٤) أخرجه البزار في مسنده (٢٣٠٩) والحاكم في المستدرک (١٢٥٨) بسند حسن.

وجاء بسند صحيح من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته»، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح، ثم يقبضه عليه». (أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٢٢١٤)).

^(٦٥) أخرجه الدارمي في سننه برقم (٣٩٤) فقال: أخبرنا الحسن بن بشر، قال: حدثني أبي، عن سفيان، عن ثوير، عن يحيى بن جعدة، عن علي رضي الله عنه به.

الحسن بن بشر هو الحسن بن بشر بن سلم بن المسيب الهمداني، أبو علي الكوفي، صدوق يخطئ. (انظر "تهذيب التهذيب" / ٢ / ص ٢٥٥).

وأبوه، هو بشر بن سلم الهمداني، قال فيه أبو حاتم الرازي: هو منكر الحديث. ("الجرح والتعديل" / لابن أبي حاتم / ٢ / ص ٣٥٨).

وسفيان، هو ابن سعيد الثوري. أمير المؤمنين في الحديث. مشهور.

وثوير، هو ثوير بن أبي فاختة، أبو الجهم الكوفي، مولى أم هانئ بنت أبي طالب. قال يونس بن أبي إسحاق: كان رافضياً. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال الدارقطني: متروك. وقال سفيان الثوري: ثوير ركن من أركان الكذب. ("ميزان الاعتدال" / ١ / ص ٣٧٥).

ويحيى بن جعدة، هو يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي، ثقة. ("تهذيب التهذيب" / ١١ / ص ١٩٢).

والأثر بهذا السند ضعيف جداً، بسبب بشر بن سلم، وثوير بن أبي فاختة.

(٦١) أخرجه عمر بن أحمد العقيلي في "بغية الطلب في تاريخ حلب" (٨ / ٣٦٣٧) وابن الجوزي في "المنتظم" (١٧ / ص ٢٠) وابن عساكر في "ذم من لا يعمل بعلمه" (ص ٣٨)، كلهم عن أبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليم بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن الهيثم التميمي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في خطبته: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

قال العلائي: هذا إسناد غريب جدا، ورزق الله كان إمام الحنابلة في زمانه من الكبار المشهورين، وأبوه أيضا إمام مشهور، ولكن جده عبد العزيز متكلم فيه على إمامته، واشتهر بوضع الحديث، وبقية آبائه مجهولون لا ذكر لهم في شيء من الكتب أصلا، وقد خبط فيهم عبد العزيز أيضا فزاد أبا لأكينة وهو الهيثم. (نقله السيوطي في "تدريب الراوي" / ٢ / ص ٧٣٦).

(٦٧) أخرجه البيهقي رحمه الله في "شعب الإيمان" (١٦٥٩) فقال: أخبرنا أبو حازم الحافظ، قال: سمعت إسماعيل بن أحمد الجرجاني، يقول: سمعت عبد الله بن محمد، يقول: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا وكيع، قال: سمعت إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية، يقول: "كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به".

فالأثر صحيح، والحمد لله رب العالمين.

كيف تريد أن تكون حافظاً لكلام النبي صلى الله عليه وسلم؟ وقبل ذلك لكلام ربك عز وجل
اعمل بما علمت، فإنك تكون حافظاً بإذن الله.

وقال الخطيب البغدادي: العلم والد، والعمل مولود، والعلم شجرة والعمل ثمرة^(٦٨).

أتريد أن تجد شجرة عقيمة من الثمر؟ أو تجد والد عقيماً أو زوجاً عقيمة من الإنجاب؟ نعم.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: لا يزال العالم جاهلاً حتى يعمل به. فإذا علم به صار
عالمًا^(٦٩).

تعلم العلم واعمل يا أخي به، فالعلم زين لمن بالعلم قد عمل.

الحمد لله رب العالمين.

والأثر أخرجه أيضاً الخطيب البغدادي رحمه الله في اقتضاء العلم العمل.

^(٦٨) في كتابه "اقتضاء العلم العمل" ص (١٤).

^(٦٩) فأخرجه الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه "اقتضاء العلم العمل" (ص: ٣٧) فقال: أخبرني أبو الفرج الحسين بن علي بن عبيد الله الطنـاجيري، قال: حدثنا أحمد بن علي بن هشام التيملي، بالكوفة، ثنا عبد الله بن زيدان، ثنا محمد بن عبد الرحمن المحرزي، قال: قال أيوب بن يحيى، قال فضيل بن عياض، به.

أبو الفرج الحسين بن علي بن عبيد الله الطنـاجيري، وكان ديناً مستوراً، ثقة صدوقاً. ("تاريخ بغداد" / ٨ / ص ٦٣٥).

أحمد بن علي بن هشام التيملي، أبو الحسين مجهول.

عبد الله بن زيدان، هو أبو محمد عبد الله بن زيدان بن بريد البجلي، الإمام، الثقة، القدوة. ("سير أعلام النبلاء" / ١٤ / ص ٤٣٦).

محمد بن عبد الرحمن المحرزي، هو محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن إبراهيم، مجهول.

أيوب بن يحيى مجهول.

فالأثر بهذا السند ضعيف.